

## التحرير والتنوير

و ( ما ) موصولة وأكثر استعمالها فيما يكون فيه صاحب الصلة غير عاقل . وأطلقت هنا على معبوداتهم من الأصنام والجن والشياطين تعليبا على أن ( ما ) تستعمل فيما هو أعم من العاقل وغيره استعمالا كثيرا في كلام العرب .

وكانت أصنامهم ومعبوداتهم حاضرة في ذلك المشهد كما دلت عليه الإشارة ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) .

والحصب : اسم بمعنى المحسوب به . أي المرمي به . ومنه سميت الحصاء لأنها حجارة يرمى بها أي يرمون في جهنم كما قال تعالى ( وقودها الناس والحجارة ) . أي الكفار وأصنامهم . وجملة ( أنتم لها واردون ) بيان لجملة ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ) . والمقصود منه : تقريب الحصب بهم في جهنم لما يدل عليه قوله ( واردون ) من الاتصاف بورود النار في الحال كما هو شأن الخبر باسم الفاعل فإنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال . وقد زيد في نكايتهم بإظهار خطئهم في عبادتهم تلك الأصنام بأن أشهدوا إيرادها النار وقيل لهم : ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) .

وذيل ذلك بقوله تعالى ( وكل فيها خالدون ) أي هم وأصنامهم .

والزفير : النفس يخرج من أقصى الرئتين لضغط الهواء من التأثير بالغم . وهو هنا من أحوال المشركين دون الأصنام . وقرينة معاد الضمائر واضحة .

وعطف جملة ( وهم فيها لا يسمعون ) اقتضاه قوله ( لهم فيها زفير ) لأن شأن الزفير أن يسمع فأخبر الله بأنهم من شدة العذاب يفقدون السمع بهذه المناسبة . فالآية واضحة السياق في المقصود منها غنية عن التلفيق .

وقد روى ابن إسحاق في سيرته أن رسول الله ﷺ جلس يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد الحرام فجاء النضر بن الحارث فجلس معهم في مجلس من رجال قريش فتلا رسول الله ﷺ عليهم ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ) ثم قال رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي قبل أن يسلم فحدثه الوليد بن المغيرة بما جرى في ذلك المجلس فقال عبد الله بن الزبير : أما والله لو وجدته لخصمته فاسألوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبدوهم ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيزا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم . فحكي ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان الذي أمرهم بعبادتهم فأنزل الله ﷻ ( إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) اه .

وقريب من هذا في أسباب النزول للواحد وفي الكشف مع زيادات أن ابن الزبير لقي النبي وأن مكرمون عباد الملائكة أن تزعم ألسن البنية هذه ورب خصمت : فقال وزاد هذا فذكر A عيسى عبد صالح وأن عزيزا عبد صالح وهذه بنو مليح يعبدون الملائكة وهذه النصراني يعبدون المسيح وهذه اليهود يعبدون عزيزا فضج أهل مكة " أي فرحا " وقالوا : إن محمدا قد خصم . ورويت القصة في بعض كتب العربية وأن النبي A قال لابن الزبير : ما أجهلك بلغة قومك إني قلت ( وما تعبدون ) و ( ما ) لما لا يعقل ولم أقل ( ومن تعبدون ) . وأن الآية حكى ما يجري يوم الحشر وليس سياقها إنذارا للمشركين حتى يكون قوله ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنی ) تخصيصا لها أو تكون القصة سببا لنزوله . ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون [ 101 ] لا يسمعون حسيها وهم في ما اشتهد أنفسهم خالدون [ 102 ] لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون [ 103 ] ) جملة ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنی ) مستأنفة استئنافا ابتدائيا دعا إليه مقابلة حكاية حال الكافرين وما يقال لهم يوم القيامة بحكاية ما يلقاه الذين آمنوا يوم القيامة وما يقال لهم . فالذين سبقت لهم الحسنی هم الفريق المقابل لفريق القرية التي سبق في علم الله إهلاكها ولما كان فريق القرية هم المشركين فالفريق المقابل له هم المؤمنون . ولا علاقة لهذه الجملة بجملة ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ) ولا هي مخصصة لعموم قوله تعالى ( وما تعبدون من دون الله ) بل قوله تعالى ( الذين سبقت لهم منا الحسنی ) عام يعم كل مؤمن مات على الإيمان والعمل الصالح .